Bilad Alrafidain Journal of Humanities and Social Science Vol. 5, No. 2 **ISSN: 2788-6026**
Doi: 10.54720/bajhss/2023.050208 **Pages:82-91**

الأشـاعـــرة دوافع النشوء الأصول والمرتكزات

م. د. مؤيد صابر حميد العبيدي
قسم حوار الأديان، كلية بلاد الرافدين الجامعة، ديالى، 32001، العراق
dr.moayad@en.bauc14.edu.iq

الملخص

أسس أبو الحسن الأشعري فرقة كلامية برجوعه من مذهب المعتزلة وتحوله الى مذهب أهل الحديث كان لها الأثر الخاص الى يومنا هذا بين أهل السنة والجماعة ساهم التوتر السياسي وتدخل الحكام في سياق الصراع بين شاكيرا ومعتزلة في انتشار عقيدة العشائر. ساهم العلماء الذين جاءوا بعد الأشعري في تطوير عقيدة الأشعري وأطروحاته. تتفق المدرسة الأشعرية للتحليل مع أهل الحديث فيما يتعلق بالطريقتين الروحيتين، لكنها تتفق معهم أحيانا، وفي أحيان أخرى لا تتفق معهم.

كلمات مفتاحية: الأشاعرة، أبو الحسن الأشعري، مدرسة أهل الحديث، المعتزلة

The Origins, Motives and Emergence of Al- Asha’aira

Lect. Dr. Muayid Saber Hameed Al-Obaidi
Dialogue of Religions Department, Bilad Alrafidain University College, Diyala, 32001, Iraq
dr.moayad@en.bauc14.edu.iq

Abstract

Abu Alhassan Alashari had established a theological group by leaving the Mu'tazila doctrine to the Ahl-al-Hadeeth doctrine, which has had a special impact to these days among the Sunnis and the community. The political tensions and the intervention of rulers in the conflict between the Asha’aira and the Mu'tazila helped in the spread of the doctrine of Asha’aira. The scholars who came after Alsha’ari have contributed to the development of Asha’ari doctrine and its treatises. The Ash’ari School of analysis agrees with the two approaches, the mental and Ahl-al-Hadeeth, but sometime it agrees and sometimes it disagrees with them.

Keywords: Asharites, Abu Alhassan Alashari, Ahluhadeeth school, Mu'tazilites.

المقدمة

لا تزال الحاجة قائمة الى دراسة التاريخ الإسلامي دراسة موضوعية وواعية، ذلك لان حالة الترابط بين الماضي والحاضر في حركة الامة الإسلامية لا تزال مؤثرة في تكوين المنظومة الفكرية والسياسية للمجتمعات الإسلامية، فالتداعيات التي حصلت بعد وفاة الرسول (ص) افرزت تيارات سياسية ومذهبية فظهرت فرق الى الوجود فرضت نفسها على المسرح الثقافي ساهم في تكوينها دوافع مختلفة. ونود الإشارة الى ان العامل السياسي له الدور الفاعل في فرض وإيجاد بعض الفرق المذهبية كفرقة الاشاعرة التي أسسها ابو الحسن الاشعري كما سنرى ذلك في طيات البحث ان شاء الله تعالى. والأشاعرة فرقة كلامية لها آثارها الكبيرة الى يومنا هذا وهي المتبنّى الأكبر في الساحة الإسلامية السُّنية.

وأفردنا في هذا البحث ثلاثة مباحث كان منها:

المبحث الأول: وهو تعريف الأشاعرة ومن هو أبو الحسن الاشعري وكيف انتقل من مذهب الاعتزال بصورة مفاجئة الى مدرسة أهل الحديث والعوامل التي أدت الى ذلك مع نظرة تاريخية.

المبحث الثاني: ذكرنا فيه المقولات الأساسية لمذهب أبي الحسن الاشعري والأصول والمرتكزات.

المبحث الثالث: ذكرنا فيه حالة الصراع والخلافات التي خاضها الأشاعرة مع خصومهم الحنابلة والسلفية والماتريدية.

واضفنا في نهاية المطاف أهم مؤلفات أبي الحسن الاشعري مع ذكر أهم علماء المدرسة الاشعرية الذين ساهموا في تطوير المذهب الاشعري.

أهمية البحث

لا تزال الحاجة قائمة الى دراسة التأريخ الإسلامي دراسة موضوعية وواعية، والخلافات ما بين المدارس الكلامية في الإسلام كانت مؤثرة في تكوين المنظومة الفكرية والعقائدية والسياسية للرسالة الإسلامية اضافة الى أهمية فرقة الأشاعرة، إذ تعتبر المتبنى الأكبر في الساحة الإسلامية لأبناء السُّنة والجماعة.

هدف البحث

لاحتواء وتجنب الصراع الذي كان مستداما ما بين الفرق الإسلامية وبتأثير مباشر من تدخلات الحكام والسلاطين الذين حكموا باسم الإسلام إذ فرضوا وأوجبوا على المجتمعات الإسلامية الايمان بهذه الفرقة أو تلك، كل ذلك يستدعي الحاجة الماسة الى تبني الحوار الحضاري في المسائل الخلافية ووضع المعايير الى ذلك وفتح باب البحث والدراسات بعيداً عن التعصب للوصول الى الهدف الإلهي والرسالي وهو وحدة المسلمين وجمعهم على كلمة التقوى ونصرة الإسلام لمواجهة التحديات والعمل بالمشتركات ونبذ الخلافات.

إشكالية البحث

لدى دراستنا للفرق الإسلامية والمدارس الكلامية تبين ان هناك منهجين هما، المنهج العقلي ومنهم المعتزلة و أهل الحديث ومنهم السلفية والحنابلة ولدى البحث والنظر نصل الى نفي فكرة تعارض الإسلام والعقل، فالإسلام يعدّ العقل واحداً من مصادر الشريعة، لذا فإن إقصاء مدرسة الحديث والرواية لقيمته يورثنا جموداً في الفكر وتمسكاً غير منهجيّ بغير تدقيق، أو تحقيق بالمقولات الخاطئة، كل ذلك يؤدي الى إساءة لفهم وروح النص القرآني والنبوي فتكون هنالك اجتهادات طارئة على التشريع الإسلامي تكون مبعثاً للتطرف والغلّو مما يؤدي الى نشوء مسالك منحرفة عن روح الرسالة الإسلامية.

المبحث الأول

الأشاعرة وعوامل النشوء والتأسيس

الاشاعرة فرقة كلامية تتنسب الى مؤسسها أبي الحسن علي بن إسحاق بن مسلم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن هلال بن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري، المولود بالبصرة سنة (226هـ) [1] والمتوفى سنة (333هـ) [2]

هاجر الأشعري الى بغداد فعاش فيها، وتدارس علم الحديث عند الساجيّ، زكريا بن يحيى، وتعلم الفقه عند ابن سريج [3]، وذكر الخطيب البغداديّ جلوس الأشعريّ في أيام الجمعة في درس المروزيّ أبي إسحق الفقيه في جامع المنصور [4]، والأرجح انه انتقل من البصرة إلى بغداد بعد وفاة الجبائي في عام (303هـ) [5].

الانتماء العائلي للأشعري:

وذكر ابن عساكر عن أبيه – أي الأشعريّ - انتماءه لمذهب أهل السنة، واشتغاله بعلم الحديث : إنه كان سنّياً جماعياً حديثياً أوصى عند وفاته إلى زكريا بن يحيى الساجي وهو إمام في الفقه والحديث، فالبيت الذي عاش ونما فيه ابو الحسن الأشعري كان بيت الحديث والرواية في مقابل طريقة أهل العقل السائدة التي يسير عليها المعتزلة. ومذهب الاعتزال يرجع في أصوله الى الصدر الأول من الأسلام وان أحد اسباب تسميتهم بالمعتزلة هو أن اناساً رأوا انه لما صار الإمام الحسن إلى بيعة معاوية - حسب الصلح - وسلّم الحكم إليه اعتزلوا الإمام المجتبى (ع) ومعاوية والمسلمين، لأنهم كانوا مع الإمام علي (ع) ولزموا المناسك والمساجد، وارتأوا الاشتغال بالعلم والعبادة، وهذا سبب إطلاق تسمية المعتزلة [6].

الأشعري ومذهب الاعتزال:

كان الاشعري معتزلياً ي شبابه ودرس الاعتزال عند المعتزلة في البصرة وكان كبيرهم أبو علي الجبائي، وظلّ ابو الحسن الاشعري على هذا الرأي ولم يتركهم طيلة أربعين سنة [7].

لم يكن رجوع أبي الحسن الاشعري عن مذهب الاعتزال أمراً عابراً وعادياً، بل يحتاج الى تأمل ودراسة للظروف والحيثيات التي دعت الى ان يتخذ هذا القرار الخطير، إذ كان انقلابه على الاعتزال امراً مفاجئاً وغريباً.

وذكر الباحثون عوامل دعت أبا الحسن الأشعري ان يتحول من الاعتزال، منها:

1 - **الطموح الذاتي:**

وأقدم رواية عن هذا ما ذكره ابن النديم من أنّ أبا الحسن الأشعري كان ناسكا من أهل البصرة، وقد تاب لاستعادة العدالة وكون القرآن مخلوقًا، كان ذلك في مسجد البصرة من يوم الجمعة، حين رفع الكرسي الذي كان يجلس عليه، وصاح بأعلى صوت: من يعرفني، يعرفني، ومن لا يعرفني، أعرف نفسي، أنا، تحدثت عن خلق القرآن، كنت. وأن الخالق تعالى لا تجوز رؤيته بالأبصار، وأقوال بنسبة أفعال الشر إلى نفسي، وقد ثُبتُّ. ومعتقد للنقض على المعتزلة، وكشف فضائحهم وعيوبهم. وكان صاحب دعابة ويظهر الفرح في كلامه. [8]. والغرابة في هذا التحول والانقلاب يستند الى طول المدة التي بقي فيها تلميذاً لأستاذه أبي علي الجبائي فيقول الخطيب البغدادي: ولد أبو الحسن الأشعري سنة مئتين وستين من الهجرة وسكن بغداد ولا يعلم بداية دراسته وانه رافق استاذه أبا علي الجبائي اربعين سنة [9].

وذكر ابن كثير بخصوص مشايخه قائلاً: تتلمذ في الحديث على زكريا بن يحيى الساجي، وفي الفقه على ابن سريج (الدمشقي ابن كثير، مصدر سابق)، أما المعتزلي قال: كان معتزليا في مطلع حياته، تلقى مذهب المعتزلة من زوج أمه محمد بن عبد الوهاب الجبائي واقتدى بآرائه طيلة الأربعين سنة من حياته فصار من كبار المعتزلة (البغداديّ الخطيب، مصدر سابق)، ثم ترك مذهب المعتزلة ورد عليهم وأسس مذهبه في الأصول والعقائد المنسوب إليه (مذهب الأشاعرة).

وهناك من يشكك بدوافع أبي الحسن الاشعري ذلك لأنه كان يعتقد بصواب المذهب الأعتزالي أربعون سنة مدافعاً عنه بحماس فيقول الصعيديّ الذي يرى جدارة عدم تنكر الأشعري لمذهب ظلّ معتقداً صحته أربعين سنة، ثمّ علل ذلك بحرية التفكير) [10]. ويرى الدكتور محمد غلاّب إن خصماء أبي الحسن الأشعري كالحنيفيين والحنابلة والماتريديين كانوا يشكّون في

إخلاص نيّته، وفي الوقت الذي كان الوسطيون معجبين به لدرجة الافتتان، وكان الخصوم يظنون ان الذي دفعه إلى سلوك هذا المنهج الجديد ليس هو الإخلاص للعلم، وإنما لأغراض شخصية [11].

2 - الرؤيا والمنامات:

نقل العلماء منامات كثيرة رآها أبو الحسن الأشعري، أمره فيها الرسول (ص) – أي أبا الحسن- نصرة سنته والتنصّل عما كان فيه فذكر ابن عساكر بعض هذه الروايات في تبيينه [12] مما لا يسع المجال الى ذكرها، وقد ناقش الباحثون هذه الروايات في المقامات فذكر الدكتور عبد الرحمن بدوي إن كان الاعتماد على الرؤى التي يُرى فيها النبي (ص) وهو يأمر بذاك وهذا من الأمور، أمراً مستساغاً عند الفقهاء، وبعض المتكلمين، فإن مجموع خلاصة الرواية المذكورة يتنافى مع واقع الحال من أهمية التطور الذهني بحيث تتطور الشكوك وتتزايد فتؤدي الى التحول وإعلان الانقطاع مع ما شاع عليه الأمر حتى ذلك الوقت، وهذا مما لا يتفق وهذه الرؤى التي تكاد ان تكون تعبيرا عن تغيّرات مفاجئة (بدوي عبد الرحمن، مصدر سابق).

التأثيرات السياسية وانتشار مذهب الأشاعرة:

إنّ الأشعري أعلن لجوءه الى مدرسة الحديث وتركه لمذهب المعتزلة كانت في الفترة التي توفي فيها الواثق بالله عام (232هـ) حيث أخذ المتوكل بأزمّة الخلافة، ونصر مدرسة الحديث، إذ بدأ العد العكسي للاعتزال وتشديد الخناق عليه، وأستمر ذلك الى عهد المنتصر بالله، فالمستعين بالله، فالمعتز بالله، فالمهتدي، فالمعتمد، فالمعتضد، فالمكتفي، فالمقتدر، وقد تسلّم المقتدر مقاليد الحكم من عام (295هـ - 320هـ) وفي تلك المدة أظهر أبو الحسن الأشعري توبته، وندمه عن الاعتزال والاندماج في سلك أهل الحديث، وقد ضيّق أصحاب السلطة في عصر المتوكل إلى عهد المقتدر الأمر على منهج التعقل (الاعتزال[13]

اذ يُعدّ قمع السلطة لأهل الاعتزال وحمايتها لأهل الحديث من العوامل المهمة في تحول وانقلاب الاشعري باتجاه مدرسة الرواية والحديث.

صراع الاعتزال والسياسة:

بدأ المعتزلة نشاطهم في مطلع القرن الثاني الهجري حينما ظهر واصل بن عطاء بآرائه التي تفرد بها عن اساتذته الفقهاء وخصوصا الحسن البصري فأسس مدرسة الأعتزال التي كانت تضم مجموعة من المفكرين كعمرو بن عبيد وامثاله وانتشرت مبادئ ومناهج هذه المدرسة بمناصرة الحكام العباسيين إلى اوائل القرن الرابع الهجري عام (331هـ) في السنة التي توفي فيها الجبائي زعيم مدرسة الاعتزال وهو أستاذ أبي الحسن الاشعري، إذ بلغ عدد المتزعمين من المعتزلة عشرين شيخاً [14].

ومن خلال هذه النظرة التاريخية وما رواه المؤرخون نرى ان العصر الذهبي للقول بالأعتزال كان في عصر الخليفة المأمون العباسي وأخيه المعتصم بالله ثم الواثق بالله إلى زمن المتوكل بحيث أصبحت آراء المعتزلة في هذه الحكومات هي المذهب الرسمي، وتقول المصادر إن السلطات اعتقلت أحمد بن حنبل حتى جُلد ثلاثين سوطاً لمخالفته مدرسة الاعتزال وقوله بقدم القرآن حتى إذا جاء عهد المتوكل انعكست الموازين الى صالح الاشاعرة ومدرسة الحديث حتى عصر أبي الحسن الأشعري (260 – 324هـ) [14].

والصراع العقائدي بين الفريقين كان قد حسمه الخليفة القادر العباسي الذي تدخل بدوره لصالح الاشاعرة وسيادة مذهبهم إذ وضع حدّاً لمذهب الاعتزال فيذكر محمد محيي الدين عبد الحميد أنه جمع المحدثين وانصارهم من الاشاعرة فصنّفوا كتابا اسموه "الاعتقاد القادري" ذكروا فيه – حسب آرائهم- ما هو واجب على المسلم من الآراء الاعتقادية، كوحدانية الله تعالى، وصفاته، وهل القرآن مخلوق؟ ... ثم أمضاه هؤلاء العلماء خطّيًا، وقامت الدولة بنشره بين المسلمين وشددت التحذير للمخالفين بالعقوبات الشديدة، وأمر الخليفة القادر بمنع الخوض في المسائل الكلامية وتدريسها والمناظرات على وفق مذهب المعتزلة [15].

وهذا القرار من القادر العباسي يعتبر الضربة الفنية القاضية لمذهب الاعتزال، فأصبحت السيادة المطلقة لمذهب المحدثين والاشاعرة الذين تمتعوا بحماية السلطات العباسية في ذلك الوقت فكان لذلك الأثر البالغ في انتشار مذهب الأشاعرة.

ومما يؤيد ذلك ما اورده المقريزي في خططه: والسبب الرئيس في انتشار مذهب الاشاعرة فذكر جملة من اصول عقائد الأشاعرة التي التي كان عليها اعتقاد جماهير أهل الأمصار الاسلامية والتي من أعلن خلافها سُفك دمه [2].

ويقول الدكتور أبو الخير ما معناه: وكذلك السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي حفظ في صغره العقيدة الأشعرية من كتاب ألفه له قطب الدين ابو المعلاي مسعود بن محمد النيسابوري الأشعري، فلما ملك ديار مصر عام (567هـ) حمل المسلمين كافة على التزام هذا المذهب.. فانتشرت الاشعرية في مصر والشام [16].

أهم مؤلفات أبي الحسن الأشعريّ:
صنّف الأشعريّ كثيرًا من المؤلفات، منها:

1. الإبانة عن أصول الديانة:
وله طبعات متعددة، والطبعة الأخيرة في دار البيان بدمشق عام 1401هـ وعبّر عنه ابن النديم في فهرسه بـ (التبيين عن أصول الدين) [8]

2. مقالات الإسلاميين:
يتناول هذا الكتاب دراسة الفرق الإسلامية وطبع جزءين في مجلد واحد عام (1369هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد [15]، وهو يتناول آراء مختلف الفرق وهي الشيعة، الخوارج، المرجئة، المعتزلة، أصحاب الحديث وأهل السنة.

3. اللّمع في الرد على أهل الزيغ والبدع
وله طبعات كثيرة، وهو أكثر كتبه عمقًا، ونضجًا، وهو أكثر عمقًا من كتاب الإبانة، ويعرض فيه آراءه ونظرياته الكلامية [17] .

المطلب الثاني: المقولات الاساسية للمذهب الأشعري

أصول المذهب الأشعري

يستند المذهب الاشعري على أسس وأصول نظرية شاملة لتفسير الإلهيات والسلوك البشري، ونظرية العلم والمعرفة والإمامة والسياسة وغيرها من مفردات العقيدة ومقدمتها التي تسمى بالأصول. واختلف أبو الحسن الاشعري مع الكثير من موارد هذه الأصول مع مدرسة الشيعة الامامية والمعتزلة وبعض الاحناف والحنابلة.

فيذكر المقريزي: إن الأشعري حين صعد على منبر جامع البصرة أظهر أصول مذهبه فذكر عدوله عن رأيه السابق فيكون القرآن مخلوقا، وأن الله لا يُرى بالبصر، ونسبة الشر إلى الإنسان، وأعلن خروجه من المعتزلة، وبداية ردّه عليهم وعزمه على بيان النقض في آرائهم وتسقيطها [2]

ملخص آراء ومرتكزات الأشعري:

1. الاشاعرة ومبدأ العلية والسببية:

أنكر الأشاعرة مبدأ العلية والسببية بشكل مطلق في عالم الطبيعة والفكر والمجتمع فقالوا بنظرية (العادة) والتي مفادها: أن ليس بين الموجودات والحوادث أية علاقة علّيه، ولكن جرت عادة الله (سننه) سبحانه ان يخلق عُقيب الحادثة حادثة أخرى، ولخص الشهرستاني نظرية الأشعري هذه بقوله بانتفاء تأثير القدرة الحادثة – المخلوقة - في الاحداث. إلّا ان الله تعالى جعل سننه بان يخلق في إثر القدرة المخلوقة او متّسقًا معها الفعل الحاصل إذا كان العبد يريده، وتجرد له، ويدعى هذا كسباً فيكون من جهة موصوفًا بأن الله خلقه خلقاً إبداعاً وإحداثاً، وهو كسبٌ من المخلوق متحصلاً ضمن قدرته [1]، وهذا المبدأ يسمى بنظرية الكسب عند الأشعرية.

وردَّ عليه الإمامية بأن هذا المذهب ينافي عدل الله سبحانه، إذ كيف يُعذّب الإنسان على فعل شر لم يفعله هو؟، مع ان هذا الرأي ينافي صريح القرآن في العديد من آياته، فهو ينسب الفعل صريحاً للأسنان كقوله تعالى: (وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ (سورة البقرة: 231). ووحدة حقيقة الوجود في جميع المراتب تنفي هذه النظرية، وتجعلها مخالفة للبراهين الفلسفية [13]

وفي القرآن الكريم ما يمكن الاستدلال به بوضوح على قانون التعليل والتبرير، فالعلّية والمعلولية بين الظواهر الطبيعة سُنة إلهية كقوله تعالى: (وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ) (سورة البقرة: 22)، وقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ) (سورة السجدة: 27).

ولهذا ينقل الإمام محمد أبو زهرة عن ابن حزم عدّه من الجبرية، لأن رأيه في أفعال الأنسان ينفي الاختيار للعبد [18]

2. الأشاعرة وعقيدة الصفات:

يذهب الأشاعرة الى القول بأن الله عالم أي بعلم، قادر أي بقدرة، سميع لكن بسمع، بصير لكن ببصر، حي لكن بحياة ... وبإن صفاته غير ذاته، وإنها – أي تلك الصفات - قديمة قائمة في ذاته [1].

ورُدَّ عليهم بإن هذا الاعتقاد يعني افتراق الذات الإلهية، وصفاتها، بل تحمل معاني وحقائق غير الذات مما يقتضي تعدد القدماء وحاجة الذات الى تلك المعاني، وهذا مخالف لعقيدة التوحيد لان الإلهيين أتفقوا على انه سبحانه وتعالى عالم قادر حي سميع بصير وهي صفات ثبوتية وكمالية وصفاته عين ذاته لان قدم الصفات يلزم الخلق بدليل: أن المفروض ان العلة هي الذات وهي قديمة فيلزم قدم معلولها، ولو كانت الذات الإلهية مسلوبة لهذه الصفات من الأزل لاستلزم ذلك كون صفاته موصوفة بالإمكان وحادثة مخلوقة وحيث ان كل ممكن مرتبط بعلة ومحتاج الى محدث' وهذا باطل[13].

وذكر الإمام محمد أبو زهرة رأياً للأشعري في الصفات واصفًا إيّاه بالوسطية بين المتكلمين، فهو وسط بين أهل الاعتزال ومعهم الجهميين، وبين الحشوية وأهل التجسيم، فالفريق الأول نفى الصفات التي وردت في القرآن، كما ان الحشويين وهم المجسمة شبهوا ذاته في أوصافها بصفات الحوادث تعالى عن ذلك علواً كبيراً، فجاء الأشعري الذي انتهج نهجاً وسطاً بين آراء العدلية ومنهم المعتزلة وبين أهل الحديث ومنهم الحنابلة [18] ،كذلك ذكر عبد الرحمن بدوي رأي الأشعري في ان الصفات قائمة بالذات أزلية قائلاً: لقيام صفات الله بذاته، أي انها ليست ذاته من جهة، وليست غير ذاته من جهة أخرى [5] .

3. الأشاعرة والتأويل

رفض الأشعري تأويل ما جاء في آيات القرآن وفاقاً لأحمد بن حنبل مما يؤدي الى إثبات صفات التجسيم لله تعالى سبحانه عن ذلك علوا كبيرا كالوجه واليدين والرجل، فقد آمن الأشعري بالصفات الخبرية، أي الأيمان كما يستفاد من ظاهر اللفظ كالعين والكرسي واليدين والوجه والاستواء... الخ، وهذا ما يقود الى التوافق مع رأي المجسمة والمشبهة في نهاية المطاف.فطرح في الإبانة تساؤلات متسلسلة منها: إن سأل سائل: ما رأيكم في الاستواء؟

وأجاب عنه: إن الله عز وجل يستوي على عرشه استواء لائقٌ به من دون طول استقرار، كما قال: (الرحمن على العرش استوى) (سورة طه: 5)، ومثلها في قوله تعالى: (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ) (سورة الرحمن: 27)، ونقول: له يدين من دون كيف كما قال: (خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) (سورة ص: 75)) [19].

وردّ عليه ناقدو آرائه بأن الآيات والروايات تتحدث على سبيل المجاز لا الحقيقة، إذ أن عدم حمل الآيات والروايات على المجاز يؤول الى التجسيم، والله منزه عن ذلك.، وعقّب الإمام محمد أبو زهرة فذكرأنه أخذ بظاهر النصوص في الآيات التي توهم بالتشبيه من دون وقوع التشبيه في رأيه، فهو يؤمن ان لله وجهاً، ليس كوجه العبيد، وأن لله يداً غير مشابهة يد المخلوقات [18].

4. رؤية الله بالأبصار:

بيّن الأشعري عقائد أهل الحديث والسنّة بإمكان رؤية الله تعالى، وأنهم يقولون إن الله سبحانه يرى بالأبصار يوم القيامة، وشبهوا ذلك برؤية القمر وهو بدر، وتلك الرؤية خاصة بالمؤمنين، من دون الكافرين، لإن الله قد حجب ذلك عنهم، قال تعالى: (كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ)، وان موسى (ع) دعا الله سبحانه وسآله رؤيته في الحياة الدنيا، وان جعل الجبل يندكّ حين تجلّى الله سبحانه له، فعلم بذلك أنه لا يمكن رؤيته في الدنيا، إنما يمكنه ذلك في الآخرة. [19]

أما الآمدي فقد نقل إجماع الأشاعرة - وهو من الاشاعرة- على أن رؤيته تعالى في الدنيا والآخرة جائزة ممكنة عقلاً، لكنهم اختلفوا في جواز ذلك في الدنيا فذهب إلى إثباتها بعضهم ونفاها آخرون [20]. وأجاز كثير ممن جوز رؤيته في الدنيا، مصافحته وملامسته ومزاورته إياه، وذكر عناق المخلصين له في الدينا والآخرة إذا اراد ذلك.[19]

هذه أفكار وأراء بعض مدرسة أهل الحديث، ولهذا قال المعتزلة والشيعة الإماميون والزيديون لعدم إمكان رؤيته سبحانه في الدنيا والآخرة واستدلّوا بأن الحكم بالرؤية يستلزم التجسيم والتشبيه [13].

اما الأشاعرة فقد تجنبوا التجسيم حسب كتاباتهم، إذ يعدّون أنفسهم قائلين بالتنزيه في صفات الله ومن القائلين بنفي التشبيه، رغم أنهم يقولون برؤية الله تعالى. فإذن المجسمة يقولون بالرؤية من دون أن ينزّهوا، والاشاعرة يؤمنون بالرؤية مقترنًا بالتنزيه. (السبحاني جعفر، مصدر سابق).

وقد ورد من الروايات ما يدلّ على عكس آرائهم، فقد سأل ذعلب اليماني أمير المؤمنين عليًّا (ع) فقال ما معناه: أرأيت الله ربك يا أمير المؤمنين؟ فأجابه بسؤال يفيد النفي: كيف أعبد ربّا لا أراه؟ فقال وكيف تراه؟ فقال – ما معناه - : لا يمكن أن يُدرك بالعيون بمشاهدة العيان، وإنما يمكن أن تدركه القلوب من خلال حقائق الإيمان، يقرب من الاشياء دون ملامس، ويبعد عنها غير مباين [21]

.5. خلق القرآن

في نهاية القرن الثاني، كان يعتقد على نطاق واسع أن كلمة الله لم يتم إنشاؤها وقبولها من قبل أهل الحديث، في المقام الأول من قبل الإمام الحنبلي أحمد بن حنبل لم يرد نص واحد حول هذه المسألة من رسول الله أو من صحابة الله، ويقال عن تشبيه الديانتين اليهودية والمسيحية للمسلمين وتجسيدهما. حيث تحدث اليهود عند سفح التوراة [22]، المسيحية عند سفح الكلمة: "تطمح المسيح المأمون العباس إلى عقيدة (خلق القرآن) وسلطة السلطان هم (أحمد بن حنبل)، (محمد بن نوح)، (الخويري)، (سجادة) لم يتمكنوا من التوثيق، لكن جميعهم باستثناء اثنين-أحمد بن نوح وأحمد بن حنبل، عادوا من عقيدتهم، لذلك أيدوا رأي المعتزلة، وذهبوا إلى طوس للقاء الإمام المقبول، لذلك كان المعتزلة رائدا لهم، لكنه حدد مكانته كأسوأ مثال على التدخل في الحرية الفكرية.وهذا رأي كل مدرسة أهل الحديث ومدرسة العقليين، أما مدرسة الإمامية فكان موقفها من هذه الفتنة أنهم منعوا أصحابهم عن الخوض في تلك المسألة فقد سأل الريان بن الصلت، الإمام الرضا (ع) وقال له ما معناه: ما رأيك في القرآن؟ فقال ما معناه: لا تتجاوز كلام الله ولا تطلب الهدى في غيره فيكون مصيرك الضلال. وقال الصادق (ع) ما معناه: القرآن كلام الله، وهوقول الله، وكتابه، ووحيه، وتنزيله، وهو الكتاب العزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

6. إنكار الحُسن والقُبح العقليين

هذه الكلمات هي أساس كلمات الأشعري وعقيدة الحديث والحنبلي. عارض الأشعري المدرسة المعتزلة، التي أكدت الكلمات عن الخير الروحي والقبح، بحجة أنه من أجل الله من الضروري أن نفعل الشيء الصحيح. أما الأشعري، فقد سمح دون قيد أو شرط بحرية الإرادة الإلهية وتحدث عن ذلك في اللمعان فأوجب على الله إيذاء الأطفال في الحياة الآخرة غير ذلك...ولا بد له من خلق الذين يعلمون أنهم لا يؤمنون، وأنه يجب أن يكون نوع من الكافرين حتى أنهم يعتقدون، وانه لا يجوز له أن يعذب المؤمنين ويأخذ غير المؤمنين إلى الجنة، لكنه يقول إنه لن يفعل ذلك [17].

قال عبد الرحمن بدوي بهذه الطريقة: إذا كان الحسن والقبح غير معقولين، لكنهما - كلاهما - من الله، وهو وحده مصدر تقييمهما، وإذا أراد أن يفعل ما هو حرام فسيفعل ذلك. لأنه لا توجد قوة أخرى غير قوته، ولا يوجد منبع آخر للقانون إلى جانبه... لكن الخير والشر يعتمدان على افتراض الله.[5] "

وردّه القاضي عبد الجبار المعتزلي بآيات من القرآن الكريم التي تدلّ على ان الله تعالى لا يريد المعاصي من عباده، منها: قوله تعالى: (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ) (سورة غافر: 31). وقوله تعالى: (وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ) (سورة البقرة: 205). وقوله تعالى: (كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سيئهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً) (سورة الإسراء: 38). فيستدلّ بهذا على ان المعاصي – كلها- مكروهة عند الله، وهي ليست كذلك إلا وهو يكرهها، ولا يكون كارهًا لها إلا باقتران نفي الإرادة لها، فاجتماع الإرادة والكراهة سيجعله حاصلاً على صفتين متضادين وذلك مستحيل [20].

7. الإمامة

يدعي الأشعري أن الأئمة يؤسسون على أساس الإجماع والاختيار دون منح وتعيين، ووفقا له، يتم ترتيب الخلفاء الأربعة وفقا للجدارة وفقا للترتيب الذي قبلوا به الخلافة، ويعتقد الأشعري أن الإمام الحقيقي هو علي بن أبي طالب، ومعاوية يعتبرون ابن أبي سفيان وعمرو بن العاص عاهرات قاتلن معه [1]. إنهم يعتبرون آفي بن أبي سفيان وعمرو بن العاصي عاهرات خرجن إلى الإمام الحقيقي وقاتلن ضده .[1] ،" وكان على أن أتعامل مع الحقيقة في كل شؤونه، كانت الحقيقة تدور حوله حيث عاش أما الخوارج (أهل النهروان)، حسب الأشعري، فهم ينتمون إلى فئة الأشرار فيما يتعلق بالدين بسبب الأخبار التي أوردها النبي (صلى الله عليه وسلم). وفي هذا الصدد، فإن الأشعري من مذهب الإمامة، بدوره، لا يتفق مع الإمامة لصالح الخلافة على علي، وأنا أتفق معهم في موقفهم تجاه معاوية والخوارج.

كل شيء في قبلات الناس أهل القبلة هو مصطلح يشير إلى جميع المسلمين الذين يلجأون إلى بيت الله الحرام في صلواتهم، ويرى الأشعري في جميع أهل القبلة نفس المسلمين، بغض النظر عن آرائهم ومذاهبهم المختلفة في الأصل والفروع، أحمد بن زاهر السرحسي، ينتقل من أحد أصحاب أبي الحسن الأشعري، الذي مات في المنزل. القبلة الإسلام تحتضن ويشمل لهم.[23]

المطلب الثالث: الصراع والخلاف بين الأشاعرة وسائر الفرق الأخرى:

1. الحنابلة والأشاعرة

إن عملية الصراع والاختلاف في الآراء بين الاشاعرة والحنابلة بلغت حد المشادات التي سببت فتنًا كبيرة، وبلغت الفتنة بسبب هذا الصراع حدّ الضرب والشتم والحبس لمشايخ الأشعريين والحكم بنفيهم من أوطانهم وأدت الى سفر إمام الحرمين (الجويني) والحافظ البيهقي، ابي قاسم القشيري من نيسابور، فالفتنة كانت سلبية أثارها الى درجة يذكر الحسني إخفاء أصحابه قبره-أي الاشعري- خوف نبش بعض الحنابلة لحكمهم بكفره واستباحتهم دمه [14]، فقد عارض الحنابلة والمعتزلة الحركة الأشعرية، واضطهدوا علماءهم ومزاياهم في ظهور هذه الحركة. وقد بيّن الشيخ محمد عبده، موضحا موقف الحنبليين من التعاليم الأشعرية، فذكر ببساطة إن الحنبليين لم يؤمنوا به واستحلوا دمه.[24]

2. السلفية والأشاعرة

لعلماء الخط السلفي-القضاة أبو يعالي الحنبلي المتوفى (457)، وابن الزغوني المتوفى (527)، وابن تيمية المتوفى (728)، وابن*القيم الجوزية المتوفى (571). يمر على وتنتهي مع معاصريهم، يبدأ الخط مع الراحل محمد * ابن عبد الوهاب، وتنتهي بما يسمى الوهابية، وتنتهي بما يسمى اليوم. في النهاية مع المعاصرين، اختلفوا جميعا في الاعتقاد السائد بأن ما ينسب إليهم لم يكن له أسلاف مخلصون في هذا، حتى كان هناك الكثير من الانتقادات ضدهم [25]. قال هذا من قبل أول شعبهم، أبو يعالي: "إن حنبل أبي يعالي يفعلون ما لا تغسله مياه البحر) [18]. قيل هذا من قبل الفقهاء والسلفيين الحنبلي أنفسهم على أنه استمرار للحنبلي. وهم وغيرهم يقولون في ابن تيمية، أكثر وأكثر شهرة [26]. أما محمد بن عبد الوهاب، فقد كان أنجح في ضرب وتشويه الفقهاء الحنبلي أنفسهم، وأولهم شقيق الفقيه سليمان بن عبد الوهاب [27]. عارضت جميع الجماعات الإسلامية، بما في ذلك الشعراء، الخط السلفي.

3. الأشاعرة والماتريدية

وفقا لزعيمها أبو منصور المطريدي، الذي توفي عام (333 هـ)، فهمت طائفة المطريديين تعاليم أبو حنيفة وقالت في خطة المقريزي أنه يجب على الناس العودة إليه في البلاد عبر النهر: الاختلافات بين الشعر وعقيدة المطريديين على الفور معروفة... نحن نتحدث عن العشرات.[2]

وقد أثبت بعض العلماء أن آراء أبي حنيفة في العقائد هي الأصل الذي تفرعت منه آراء الماتريدية، ولما كان أبو حنيفة يمنح العقل أثراً كبيراً في الفقه والمعرفة، على خلاف أهل الحديث، فقد انعكست آثار ذلك في مذهب الماتريدية وجعلته متميزًا كثيراً عن المذهب الأشعري [25]، ثم لخص الباحث صائب عبد الحميد بعض تلك المسائل الخلافية بين الأشعري والماتريدي بما يأتي [25]:

- خلافهما في كون معرفة الله واجبة بالشرع عند الأشعري واجبة بالعقل عند الماتريدية.
- خلافهما في أن الحسن والقبح العقليين عند الماتريدية شرعيين عند الأشعري.

- خلافهما في تجويز الأشعري على الله أن يعاقب الطائع ويثيب العاصي، ومنع الماتريدي ذلك.
- خلافهما في تجويز الأشاعرة أن يخلف الله وعده، ومنع الماتريدية ذلك.

وغيرها من الخلافات، وفي جميع هذه الأقوال نلاحظ اقتراب الماتريدي من المعتزلة أحيانا وابتعاده أحياناً أخرى، لذا وضع الكوثري تخطيطا لأربعة مذاهب، جعل الطرفين: المحدثون والمعتزلة، وجعل الأشاعرة أقرب الى أصحاب الحديث، فيما جعل الماتريدية أقرب الى المعتزلة.

- **نتائج وتوصيات:**

يتلخص هذا المبحث بمجموعة من النتائج والتوصيات، منها:

1. عاد الأشعري من الاعتزال إلى تعاليم أهل الحديث، وخلق منهجا لفظيا يتمتع حتى يومنا هذا بتأثير فريد بين أهل السنة، وبعده ظهرت مجموعة من أعظم علماء وأساطير الإسلام العلمية، الذين قبلوا مذهبه، وأوضحوا آرائه، واستكملوا النقص، وصححوا نقاط الضعف في الآراء والحجج واتبعوا طريق الاعتدال.

2. ساعدت الصراعات السياسية وتأثير الحكام في عملية الصراع بين الأشاعرة والمعتزلة في نشر وتوسع مذهب الأشاعرة، وحسمت كفة الغلبة لهم على المعتزلة الذين كانوا هم المسيطرون بداية الأمر.

3. أسهم العلماء الذين جاءوا بعد الأشعري في تغذية هذا المذهب وتنمية آرائه ولا سيما العلماء المذكورون حتى عصر العضد الايجي، ثم بدأ بالخفوت. واتخذت المباحث العقدية اشكالا تقليدية.

4. اتّسم الصراع بين الأشاعرة والمعتزلة بالقسوة والعنف وكمّ الأفواه، وهذا الأمر سلبي للغاية يكشف عن طبيعة الصراعات السياسية والحضارية وتأثرها بما هو خارج النصّ الديني.

5. تقترب العقيدة الأشعرية من شخصية ابن حنبل لكنه اقتراب مُعدّل، فالمذهب الأشعري عند التحليل يتفق مع المنهجين العقلي وأهل الحديث وإن أظهر بأنه على مذهب المحدثين، ولكنه تارة يوافقهم وأخرى يخالفهم ويوافق المعتزلة في اللبّ والمعنى، وإن كان يخالفهم في ظواهر الألفاظ .

6. الإسلام لا يرفض العقل بل يعدّه أحد منابع الشريعة في استخراج الأحكام الشرعية فإقصاء العقل من قبل مذهب اهل الحديث يعني الجمود الفكري والتمسك بالتقليد الأعمى دون التحقيق.

7. إنّ احتدام الصراع بين الفرق الاسلامية وتدخل السلاطين الذين فرضوا حالة القمع الفكري والغاء الآخر والاتهامات المفتعلة كانت المغذية لحالة الفرقة والتشتت في يومنا هذا، نحن بحاجة ماسة الى الحوار الحضاري في المسائل الخلافية ووضع المعايير الصحيحة الخاصة بذلك وفتح باب الدراسات بعيداً عن التعصب لنصل الى هدف إلهي مطلوب وهو وحدة كلمة المسلمين على التقوى ونصرة إسلامنا العزيز.

المصادر

القرآن الكريم.

[1] الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي، 1387هـ-1968م.

[2] المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، ١٤١٨ هـ.

[3] البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط/1، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

[4] تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط/1، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م

[5] مذاهب الإسلاميين، د.عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، 1997م.

[6] موسوعة الفلسفة والفلاسفة، د. عبد المنعم الحنفي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط/3، 2010م.
[7] التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المَلَطي العسقلاني (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث – مصر.
[8] فهرست ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت ٤٣٨هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت – لبنان،ط/2، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
[9] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، 1978م
[10] المجددون في الاسلام: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط/1، 1416هـ-1996م.
[11] تاريخ الفرق الاسلامية، محمد خليل الدين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1985م.
[12] تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط/3، ١٤٠٤هـ.
[13] بحوث في الملل والنحل، جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق(ع)، قم المقدسة، ط/1، 1427هـ.
[14] الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، السيد هاشم معروف الحسيني، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط/1، 2001م.
[15] مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/3، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.
[16] عقيدة الإسلام والأيام الماتريدي، د. أبو الخير محمد أيوب علي، المؤسسة الاسلامية، بنغلادش، ط/1، 1983، 1403هـ.
[17] اللمع في الردّ على أهل الزيغ والبدع، أبو الحسن علي بن إسماعيل الاشعريّ (ت324هـ)، تحقيق: حمودة غرابه، مطبعة مصر، القاهرة، 1955م.
[18] تاريخ المذاهب الاسلامية، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/1، 1989م.
[19] الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط/1، 1397هـ.
[20] كتاب المواقف، الإمام الأجلّ القاضي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي بشرحه للمحقق السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت 816ه) مع حاشيتين جليلتين عليه، مطبعة السعادة، مصر ،١٣٢٥ ه- ١٩٠٧م.
[21] نهج البلاغة، لجامعه الشريف الرضيّ(ت406ه)، تحقيق: قيس بهجت العطار، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، ط/1، 1437 هـ.
[22] مقارنة الأديان، اليهودية، د. احمد شبلي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط/8، 1988م.
[23] الفصول المهمة في تأليف الأمة، العلّامة السيد عبد الحسين شرف الدين العامليّ، المجمع العالمي لأهل البيت(ع)، ط/1، 1431هـ-2010م.
[24] موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، عقيدة الأسلام والإمام الماتريدي، الدكتور محمد أيوب علي البنغلاديشي، إشراف: الشيخ علوي بن عبد القادر السقّاف، بلا معلومات.
[25] تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي، صائب عبد الحميد، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم المقدسة، ط/2، 1426هـ-2005م.
[26] الفتاوى الحديثية، أحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمي المكيّ (ت 974هـ)، دار المعرفة، بيروت، طبعة أوفست عن طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط/2، بلا تاريخ.
[27] الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية، الشيخ سليمان بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي المتوفى (1210 ه)، مكتبة إيشق كتبوي، إستانبول، تركيا، ط/3، 1399 ه.